

«مقام الجنرال ديغول» لعامر مارديني

الأدب الساخر موجود في الحياة الثقافية

لمواساة مجتمع يعاني من أزمة وحرب

جمان بركات



البحث عن البسمة والراحة والنقد في أمسية للأدب الساخر في دمشق

الجميع، وكيفية الانسحاق وراءها وإلى أين وصل الأدب الساخر في سورية بشكل عام، وما الرؤى؟ يجيب وزير التعليم السابق: أكتب القصة الساخرة من الواقع، ومجموعتي القصصية التي حملت عنوان «حموضة معدة» هي نتاجي الأول. استوحيت العنوان من إحدى القصص الحقيقية التي تحكي عن صديق في أرومات شراء شهادة ليصبح أستاذاً في الجامعة وأصابني حموضة في معدتي من كلام صديقي.

في الواقع، إن كتاب الأدب الساخر قلائد، وأنا أحببت بدوري كتابة ما رأيته خلال وجودي في مجتمع طلابي وهو ما أتاح في فرصة ملاحظة مشاهد وأفكار كثيرة تعكس السخرية، بتشجيع من زملائي الأعضاء في الهيئة التدريسية، والسخرية تكون في جميع المجالات سواء الاجتماعية أم الاقتصادية أم الرياضية أم السياسية،

الأدب الساخر عبر التاريخ كان المخدر الذي يأخذه الناس لكي ينسوا همومهم، وفي ظل الأزمة والحرب يتبادل الناس الأدب الساخر على مواقع التواصل الاجتماعي للتعبير عن المعاناة والألم، وعندما يكثر مجتمع من تبادل هذا الأدب الساخر إنما هو دليل طرقة ورقة وأحاسيس الشعب استطاع من خلاله التغلب على صعاب ومشقات الحياة.

في الواقع، لا يوجد تاريخ محدد للأدب الساخر، ويمكن القول إنه بدأ مع أول دعة سقطت من عين إنسان في تاريخ البشرية وكانت موساة من الطرف الآخر، وهي البنية الأساسية التي يقوم عليها، أي بمقدار ما يستطيع هذا الأدب أن يواسي الشعب وينجح في الوصول إلى غيائته، ولهذا خلق الأدب الساخر ليكون انعكاساً لهموم وآلام يشعر بها الناس. في ظل هذه الحرب هناك أسباب كثيرة أدت إلى تضال الأدب الساخر ليصبح مقتصرأ على رسوم الكاريكاتور فقط.

يحتاج الأدب الساخر إلى هامش حرية كبير، هو موجود في سورية نسبياً بالنسبة للدول العربية الأخرى إلا أنه لم يستغل بالشكل المطلوب، وفي أمسية حمل الكثير من الحرية متناسين كل التابوهات أقام المركز الثقافي -أرومات- أمسية أدبية «أدب ساخر» أدارها الإعلامي محمد نصر الله الذي قدم بدوره قصة قصيرة ساخرة.

حموضة في المعدة

قرأ د. محمد عامر مارديني قصة بعنوان «مقام الجنرال ديغول» تحكي عن ثقافة القطيع التي باتت في أذهان

الضوء على الأخطاء، فهم ينظرون إليها على أنها عثرات يجب إزالتها، ومن وجهة نظر القانونيين مثلاً يرون أنهم خارجون عن القانون ولكنهم في الحقيقة يتكلمون بصحير الناس ليصبحوا الناطقين باسمهم.

وعن حاجتنا إلى هذا الأدب قال: إن مهمة النقد هو التسويق أو التهميش، والأدب الساخر لم ينقطع والدليل أنه يمكن التحدث عن عشرات الأسماء الموجودة في العالم العربي، ولكن المشكلة في النقد لدينا أنه تراجع إلى درجة أنه لم يلحظ الكثير من الأصوات المهمة في الساحة الثقافية السورية في هذا النوع من الأدب.

وعن المقومات الجديدة لإعادة صنع الأدب الساخر وإعادته إلى الواجهة، قال: أعتقد أن هذه المقومات تحد من حرية الكاتب وانطلاقته لخلق فضاءات أوسع، والمشكلات اليومية تطرح علينا قضايا ربما تقترح حلولاً غير موجودة أساساً والمقومات هي محددات مدرسية وليست مقدسات.

وعن وصول الأدب الساخر إلى مستوى ما وصلت إليه الأحداث قال: في كل الأزمات بالعالم سنجد أن الأدب يتأخر أقدماً أو عقدين في وصف الحالة ولكن في سورية منذ أن بدأت الحرب ظهر الأدب وتتاجه وأصبح متداولاً بين الجميع.

الابتسامه هي الأساس

إن تأثير الأدب الساخر على النفوس هو بمقدار البسمة المرسومة على الشفاه أو مقدار الراحة في الروح وبدوره ذكر الفنان التشكيلي موفق مخلول عدة قصص من حياته في بيت العائلة، زرع الفرح والابتسامه بين الجمهور وتحدث عن الأدب الساخر بالقول:

الجميع بحاجة إلى ابتسامه والأدب الساخر في ظل الظروف والضغوطات الاجتماعية والاقتصادية، وميزة المجتمع السوري عن الغرب هي بابتسامته، والابتسامه هي سلاح لاستيعاب المكان والزمان والظروف القاهرة، والإنسان الدمشقي معروف بها.

وعن الخوف من كتابة الأدب الساخر، والمعوقات التي تعترضه للتعبير بحرية عنه قال: القضية هي الخوف من المسؤولين، وما حدث معي في حلقة «عشتار» المخونة التي منع وجودها وتحته كلوحة فنية تحت جسر السيد الرئيس هو أكبر دليل، وكانت المشكلة الأكبر مع المسؤولين.

وأنا أحببت التحدث عن السخرية الاجتماعية وأحياناً السياسية.

الأدب الساخر موجود

التقطت عدسة داود أبو شقرة تفاصيل مجتمعية قد نمر عليها بقداسة لكن للأدب بعداً آخر، وعن الانفتار إلى الأدب الساخر في سورية قال أبو شقرة: لم ينسحب الأدب الساخر من الحياة الثقافية، هو يأتي من كتاب كبار ينظرون إلى الحياة بنظرة ناقية ويرون الواقع بعين مغايرة ربما لا يراها الناس العاديون الذين ينظرون بدورهم إلى القوانين والأعراف والتقاليد على أنها تابوهات مقدسة، لكن الأدباء والفنانيين ينظرون إلى الواقع نظرة تغييرية تهدف إلى تصحيح وتسليط

محمد الفراتي الشاعر العربي

مطارداته وابتعاده عن المركز أخفى جواهره

إسماعيل مروة

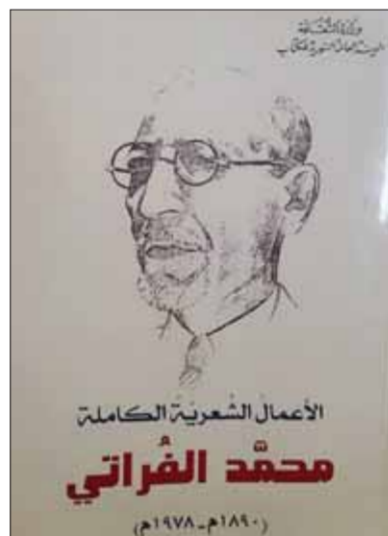
تعود بي الذاكرة إلى المراحل الأولى في التكوين عندما قرأت قصائد للفراتي، وكانت قصائد جميلة وعذبة، وكثيراً ما كان يتم الخلط بينه وبين غيره من الشعراء، وخاصة العراقيين، ويكاد بعض الشدة يغلبون على الفراتي صفة الترجمة من الفارسية عن صفة الشعر، إلى أن وقعت على مجموعة شعرية له، قرأتها وأيقنت أن المرحلة التي عاشها هي التي صبغت هذه الصبغة شأن أنداده الذين عاشوا تلك الحقبة.

الديوان والرحبي

ذات صباح من عام 1989 سمعت باسم الأستاذ الشاعر العلامة عبد الجبار الرحبي رحمه الله، وعرفت عنه أشياء كثيرة تتعلق بشعره وكنته، فما كان مني إلا أن توجهت إلى مدينة دير الزور، وهي أول مرة أقصد هذه المنطقة الغالية، وبعد رحلة منهكة بالقطار وجدتني أمام بيت الأستاذ الرحبي، فأرشدني من في البيت إلى مقهى قريب يجلس فيه الرحبي مع أصدقائه، وفي ذلك المقهى جلست مع الأستاذ الذي ذكر اسم الفراتي، وأنه كان يجلس معه في هذا المقهى، وفي بيته حدثني عن الفراتي وأطلعني على ديوانه، ولما كانت الغاية الرحبي فقد أطلعني على مجموعته (نقطة مسطور) وأطلعني يوماً على شائين كتاباً بخطه، كلها غير منشورة، وأغلبها في التراث وعلوم القرآن، ولكن غرارتي في ذلك الوقت، وقلعة معارفي، لم تسحبا في بأن أحضر لهذه هذه الدراسات لأكتفل بنشرها، أسهمت بعضها في كتابات عن الرحبي وتراته لا تخفي بشيء، ونشرت حديثاً معه في إحدى الصحف المحلية، وتبعاد العهد، ورحل الرحبي رحلت الجليل، وأغن أن المخطوطات الثمانيه رحلت إلى خاتمته معه، ولم تخرج من الكوميدية التي كان يضعها فيها، ويقفل حرصاً.

الديوان والفراتي

إنها لبادرة غاية في الأهمية السنة التي اتبعته وزارة الثقافة منذ عقود بنشر الأعمال الكاملة للأدباء السوريين الراجلين لتحفظ في الورق والذاكرة هذا التراث الذي صار يتيماً رحيل مبدعيه، ولن يجد من يعنتي به، وقد شكلت هذه الأعمال ثروة ثقافية في الشعر والنثر على السواء، وهاهي تلتفت إلى أعمال محمد الفراتي بعد عمر أبو ريشة لتصدر أعماله الشعرية التي تسعد روحه في رفته، وتعبد الهيئة لتماثله وإن طاله الأذى، وتسد المنطقة الشرقية ومبدعيها الذين أعطوا سورية الكثير، ومن حسن الطالع أن تشكل لجنة علمية تضم خبراء يملكون اللغة والمعرفة، مع أحد أبناء الفرات المعنى بخبرته بحفظ هذا التراث وتوثيقه، لتقديم وثيقة جديدة عن المنطقة بعد الذي قدمه صديقي الراحل الدكتور وليد مشوح من أعمال عبد القادر عياش ضمت اللجنة د. ناز زين الدين ود. محمد شفيق البيطار، ود. محمد قاسم وأ. سراج جراد.



الفراتي واللقب

الفراتي أو محمد الفراتي، هكذا يعرف شاعرنا، وقد ارتأت اللجنة أن تقدم للأعمال مقدمة مركزة تفي بالغرض على اختصارها، غنية بالمعلومات والتواريخ، تظهر جانباً لا يعرفه الكثيرون عن الشاعر، فهو شاعر وأكاديمي وأزهري، نال العلم بالإنجازة وبالرحلة، وهو إلى ذلك رجل موقف وسياسة، فقد قاوم المحتل الإنكليزي والفرنسي، وعانى الهروب والتوراي، شهد الثورة العربية الكبرى، وانقلب على زعمائها حين اكتشاف الحقائق، وشارك مع سعد زغول في ثورته عام 1919، شاعر ومناضل هو الفراتي، وساحة نضاله ما بين مصر وسورية والعراق والحجاز، مدرس للعربية لفق طلابه العربية وكان من طلابه عبد الجبار الرحبي، وتعلمنا سيرته وسيرة طالبه فترة مهمة عن المنطقة العربية آنذاك والتقل بين البلدان، صحفى على طريقة ذاك الزمان كان الفراتي، فترك أيضاً صحفياً أدبياً راقياً. وبقي لقبه الفراتي علامة تنفوق على اسمه: محمد بن عطا الله بن محمود بن عبود، كما هو حال بدوي الجبل الذي تفوق لقبه وصار اسماً، والجواهري وغيرهم من الأخطل إلى الفروي إلى سلسلة طويلة كان الأدب غاية، والاسم والشهرة دون الغاية، لأن الغاية الأهم هي الوطن والأدب وشعره ونثره.

الديوان والمحتوى

ضم الديوان جل شعر محمد الفراتي، وجاء في خمسة أقسام الأول ضم: العواصف والقوميات، والثاني ضم العواصف الأخرى، والثالث ضم أروع القصص والهواجس، والخامس ضم الكوميديا السماوية والنفحات الأولى، وبعض أعماله النثرية. والعواصف بطبيعتها الأولى قدم لها الأستاذ الشاعر عبد الجبار الرحبي، وهو القريب من الشاعر، واللصيق به، والتلميذ الذي ينجح نهج الشاعر الفراتي، وبعيداً عن حديثه عن الفراتي وعلاقته به، أقف عند حديثه عن شاعريته، «الفراتي شاعر مطبوع فياض القريحة رقيق الديداجية، تقي اللفظ، خبير بفنون القول، ومن أصدق صفاته إخلاصه لأدبه وفنه، وأسلوبه،

هل اكتشف العراقيون الحرية قديماً؟

تشير الكتابات البابلية إلى أن أنظمة الحكم موجودة منذ القرن السابع قبل الميلاد



د. رحيم هادي الشمخي

تثبت نصوص سومرية وبابلية اكتشفها علماء الآثار مؤخراً أن العراقيين القدماء سبقوا سواهم من البشر في ابتكار وبطوره مفاهيم دقيقة في الفكر السياسي أهمها مفهوم (أما- آر- جي) أو (ama-ar-ge) ويكتب أيضاً ويعني الحرية بالمعنى السياسي الحديث، وكذلك استعادة الحرية أو الانعتاق بالنسبة لأسرى العبودية والحروب كما تعني رفع العقوبات الجسدية والمادية والمعنوية واستعادة الحقوق والممتلكات بالنسبة لسجناء الرأي وغيرهم، ويبدو أن أول استخدام معروف لهذه الكلمة كمصطلح قانوني كان في إصلاحات الملك أرووكاجينا من سلالة ملوك أور الثالثة.

ويشير علماء الآثار أيضاً إلى أن العراقيين القدماء كانوا يستخدمون بشكل خاص لفظين مختلفتين للدلالة على مفهومي العدالة والحق وهما «كيوتو» و«ميشارو»، الأولى تعني النزاهة في الحكم والانتماء بالقانون أو النيات عليه، فيما تعني الثانية التصمس بالاستقامة والصواب «النظام الحق» وكل شيء حسب طبيعته وفي مجاله، وتتضمن فقرتهم في هذا الشأن الفصل بوضوح على مبدأ الحق الخاص لكل مواطن بموازاة أو مقابل الحق العام لكل المجتمع العادل في تأكيد على أن الحياة عامة وليست فردية في المجتمع، أي في إطار القانون الموضوعي.

وفي هذا السياق من المؤكد، أن الفكر السياسي في العراق القديم كان قد جعل من واجب السلطة السياسية «الدولة» توفير العدالة الاجتماعية النفسية والمادية لكل أفراد المجتمع من دون استثناء في إطار القيم السائدة في لحظة تاريخية أو أخرى. ولأهمية التاريخية والمعاصرة للمصطلح السومري البابلي عن مفهوم الحرية ومضامينه الإنسانية العميقة والشاملة، ذهب عدد من المؤسسات والأكاديميات العالمية المعاصرة المعنية بالدفاع عن الحرية ورفض الاستعباد في العالم إلى اعتماد صورة كتابته المسمارية الأصلية السومرية نفسها شعاراً لها لرمزيته الكونية كأول وأقدم ظهور مكتوب لكلمة الحرية في التاريخ البشري من بينها المعهد السياسي للحريات في البيرو، وكلية الاقتصاد الجديدة في جامعة جورجيا الأمريكية.

ومؤسسة الحرية في ولاية أندانيا الأمريكية، كما كانت كلية الاقتصاد في جامعة لندن قد اتخذته اسماً وشعاراً لجلتها في وقت سابق وغيرها العديد من الهيئات والمؤسسات. ومن الكتابات السياسية البابلية المكتشفة مؤخراً، لوح على قدر كبير من الأهمية والنقد في موضوع نظم الحكم، عرف عليه في مكتبة الملك آشوريا نبيل الشهير في نينوى «القرن السابع



ق.م» ويرجع تاريخ توثيقه إلى العهد الآشوري الأخير، نص على نصاب صارمة موجهة إلى الحاكم بلزوم تطبيق العدل في إدارة المدن وضعت لحماية حقوق المواطنين في بعض المدن البابلية وبوجه خاص سبيار ونظر وبابل إزاء السياسات الاعتباطية ضدهم ومنها فرض عمل السخرة الإلزامي عليهم وسلب أموالهم.

أما الملك المقصود بذلك التحذير فيرجح المؤرخ الراحل طه باقر في «مقدمة في تاريخ الأدب في العراق القديم» (ص 160)، أن يكون ملك بابل مروود بلادان «مروود» -إلا- أدناه المعاصر لملك سرجون الآشوري الثاني «721-705»، فيما ارتأى باحثون آخرون أن يكون الملك الآشوري سنحاريب «704-681 ق.م» هو المقصود بالنص، ومهما يكن الأمر فإن الأدلة الداخلية، من شكل الخط والأسلوب اللغوي، تشير إلى أن زمن النص يرقى إلى ما بين 1000 و700 ق.م» وأبرز ما جاء فيه من مفاهيم ما كمنت كلية الاقتصاد في جامعة لندن قد اتخذته اسماً وشعاراً لجلتها في وقت سابق وغيرها العديد من الهيئات والمؤسسات. ومن الكتابات السياسية البابلية المكتشفة مؤخراً، لوح على قدر كبير من الأهمية والنقد في موضوع نظم الحكم، عرف عليه في مكتبة الملك آشوريا نبيل الشهير في نينوى «القرن السابع

تناقضات

جاء سامر منصور بفكرة جديدة وعالجها باعتماده على الواقع المعاش ووضعها في طبق الأدب الساخر، وقدم رسالة مفادها عدم القدرة على تبادل الأدوار بين الرجل والمرأة، واحترام كل فرد دور الآخر، وعن الأدب الساخر قال الصحفي:

للأدب الساخر ثوابت فهو يقوم على مفارقات تحدث في المجتمع، وعادة في الأزمات والحروب وثنائية الألم والسعادة والنجاح والنصر والأمان تولد مفارقات تؤدي لظهور شرائح مخمورة تتسلق وتحاول أن تتبوأ وتتأخذ أكبر من مكانها وبالتالي ينتج عنها سلوكيات وتصرفات تنم عن تناقضات واضطرابات نفسية تشكل مفارقات وتكرس ظواهر في المجتمع، وهذا كله يندرج تحت الأدب الساخر الذي أجده ضرورة بلاغية مثله مثل لقطة للوحة كاريكاتورية خاطفة ومؤثرة، ومن سماته الأساسية أن يكون قريباً من الواقع والشارع ومن القضايا الاجتماعية. وعن غياب الأدباء العرب في ظل هذه التناقضات قال منصور: هناك أسباب عديدة، وهذه الأسباب نادرة جداً ووزارة الثقافة لم تقم ببدء للأدب الساخر إلا مرة أو مرتين مع أنني أراها ضرورة جداً، والمجتمعات التي تعاني من الضغوطات والحروب لا نجد فيها إلا رسامي الكاريكاتور، ومع الأسف كتاب الأدب الساخر قلائد جداً وهناك انحصار لهذه الظاهرة، مع العلم أن الشعب السوري صاحب تكتة، ومن يتابع مواقع التواصل الاجتماعي يرى أسطراً ساخرة ولكنها لم تتبلور لتصل إلى منتج ادبي يمكن تصنيفه ضمن الأدب الساخر.

وعن المفردات التي يحتاجها هذا الأدب للظهور مجدداً قال سامر منصور: المثقف موجود والنكتة موجودة والشارع السوري هو أكثر مصنع لها ومستقبل متداول لها، ولكن تبقى المشكلة في الإقبال على الثقافة بشكل عام المتراجع والمخسر، وفي فترة من الفترات شكل المسرح مثل «كاسك يابون» و«غربة» حاملاً مهمماً للأدب الساخر، ونأمل أن تذهب بهذا الاتجاه ولكن للأسف هناك مسرح ساخر اليوم يطفى عليه التهرج، ولا يصفن كصوص أدبية وإنما يذهب باتجاه «الشعبوية» ولكن حديداً لو يذهب بعمق أكثر، وفي الصحافة يتصدر الكاريكاتور الأدب الساخر.